الدين والالحاد والاشتراكية

﴿ نصر المقتطف الايمان على التعطيل ﴾

يظن الكثيرون ان صاحبي مجلة المقتطف من الملاحدة المعطلين وكنت أنا أظن ذلك حتى اتفق من بضع سنين ان جرت بيننا مناظرة خاصة جر اليها الكلام العادي وكنت أنا الموجب المثبت بالطبع وكان آخر قولي المقبول فيها وصفوته أن هذه الكائنات في جملتها حادثة لم يكن شيء منها كما نعرفه الآن وفيها من الابداع والنظام ما يستحيل ان يكون حصل بالمصادفة أو يكون مصدره العدم المحض بل يجب عقلا ان يكون لهذا الابداع والنظام العجيب في العوالم العلوية والارضية مصدر وجودي ولكن حقيقة هذا المبدع الموجد للنظام والحافظ له مجهولة فنحن نسميه (الله) فاذا اعترف الماديون باقلنا وسموا ذلك المبدع (المادة) فالاختلاف انما يكون بالتسمية والالفاظ الخ مادار بيننا يومئذ ووافقني فيه مناظري أو عدني على اثبات وجود الباري عز وجل، وان من كفر من علماء أوربا بالله الكنيسة لا يمكنه ان يكفر بالله الطبيعة، واعني بالله الكنيسة الموصوف بما تصفه به من الاقانيم والصفات ، وكنت أقول في نفسي بعد ذلك هل الدكتور يعقوب صروف مادي حقيقة وهل كانت مناظرته لي استرسالا في هذا البحث العلمي أم اختبارا لاعتقاده أم اختبارا لي ؟

ذكرت في كتابي (الحكمة الشرعية) الذي كان أول شيء ألفته وكتبته في المسائل العلمية الدينية والاجتماعية ان أجدر الناس بقوة الايمان بالله تعالى علماء الطبيعة الواقفون على ما لا يعرفه غيرهم من علماء الدين بنظام الكون وآيات الله تعالى فيه وهم العلماء المشار اليهم في قوله تعالى (٣٥ : ٢٦ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ٢٧ ومن الناس

والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور)
فلا ريب ان المراد بالعلماء هنا العلماء بآياته تعالى وحكمه في نظام هذه الكائنات المذكورة في الآيات

ثم رأيت في فاتحة جزء المقتطف الذي صدر في هذا الشهر مقالة علمية لمحرر المقتطف يرد فيها على أحد المعطلين الاشتراكيين ويستدل على وجوده تعالى بآياته في خلقه على طريقة القرآن لا على طريقة المتكلمين النظرية ويشرح هذه الآيات شرحا علميا على طريقة علماء الكون في هذا العصر ، وقد أشار في هذه المقالة الى سبب كتابتها وهو ما نشره بعض المعطلين في باب المراسلة والمناظرة منه

راجعنا باب المناظرة فرأينا فيه رسالة بامضاء (سلامه موسى) يرثي فيها أن الحكومة المصرية لا يصلح حالها الا بالسير على مذهب الاشتراكيين الذي عنوانه (لا رب ولا سيد) أي لا دين ولا سلطة ، وقال الكاتب في رسالته ما نصه « ما هي اعتراضاتكم على الاشتراكية وعلى الالحاد ؟ ماتت بالأمس زوجة لصديق اشتراكي لي فشيعناها الى القبر بلا صلاة وكان على عربة المائتة علم كبير مكتوب عليه بحروف واضحة يكاد يقرأها الأعمى « لا رب ولا سيد » ولم أر العالم اختل بذلك ولا الطريق تنبرت ولا الله ظهر ليثبت وجوده »

وقد علق المقتطف على هذه الرسالة تعليقا وجيزا ثم أيده بتلك المقالة فرأينا أن ننقل في المنار كل ما كتبه تذكيرا للعالم وعبرة للمقلدين في الكفر الذين يقولون لو كان أصل الدين حقا لما انكر وجود الله تعالى العلماء العارفون بنظام الكائنات ، وقد كثر عندنا هؤلاء المقلدون الذين قال في مثلهم الشاعر العربي

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليدا

وقد رأينا أن ننقل ما كتبه المقتطف في التعليق على رسالة ذلك الملحد أولا ثم ننقل مقالته التي أيد فيها الايمان ، ثم نعقب ببعض ما كنا كتبناه في العام الماضي في مسألة من المسائل التي ألمعها المقتطف وهي حال المتدينين في الفضيلة وكون العمران مبنيا على أساس الدين والكفر داعية الفساد والخراب وهذا نص تعليقه على الرسالة

(المقتطف) نشرنا هذه الرسالة على جاري عادتنا من نشر رسائل المراسلين

ومناظرات المناظرين ولو كانت على غير رأينا . والغرض من نشرها إطلاع القراء على كيفية نظر الاشتراكيين في المسائل الاجتماعية ولا شبهة ان في الاجتماع البشري مساوئ كثيرة يجب نزعها وأمراضا مزمنة يجب علاجها وان الاشتراكية أفادت فائدة كبيرة في التنبيه الى هذه المساوئ وهذه الامراض ولكن سبر العمران لم يتوقف على الاشتراكية والمصلحون الذين لهم اليد الطولى في اصلاح حال المجتمع لم يتبعوا خطة واحدة وطريقة مقررة فبعضهم أفاد المجتمع بنشر المبادئ الادبية وبعضهم أفاده بنشر المبادئ الدينية وبعضهم بالثورة على المستبدين . ولا تفلح طريقة من الطرق ما لم تتهيأ وسائلها وتستعد الامم لها والا كانت كالضرب في الحديد البارد . وعلمنا واختبارنا يدلاننا على أن الامة المصرية سائرة في الطريق الذي يكن سيره في هذا القطر للبلوغ الى نزع المساوئ القديمة . قلنا الامة المصرية ولم نقل الحكومة المصرية لأن الحكومة جزء من الامة والموظفون الاجانب الذين فيها من الانكليز وغيرهم لا يقلون عن الوطنيين اهتماما باصلاح البلاد . والاصلاح المالي مقدم على الاصلاح العلمي دائما كما يشهد تاريخ الاجتماع فلم يخطئ لورد كرومر في سياسته المالية أي تقديم الاصلاح المالي على الاصلاح العلمي لان الانسان اذا أصلح ماله سهل عليه بعد ذلك تعليم أولاده والافلاد . والحكومة الفقيرة يسهل عليها انشاء المدارس ونشر التعليم وأما الحكومة الفقيرة فيصعب عليها ذلك أو يتعذر

والتعطيل أي انكار وجود الله ونسبة الانسان اليه من مقوضات دعائم العمران ولا عبرة بثبوت العمران الآن بين الاقوام الذين شاع التعطيل عندهم لانهم تربوا تربية دينية فرسخ في نفوسهم عمل الواجب وكراهة الكذب والاعتداء على الغير ونحو ذلك من الشرور ولكن اذا نزع مبدأ الحلال والحرام الديني تعذر وضع مبدإ آخر يقوم مقامه ويرسخ رسوخه ولذلك يرجس المفكرون شرا مما ستصير اليه حال أوربا وأميركا في أواخر هذا القرن اذا انتشر التعطيل فيها . هذا فضلا عن ان التعطيل غير معقول لذاته ففرضه خطأ علميا كما هو ضرر اجتماعيا والمجاهرة به تفضي الى اكبر الضرر على نوع الانسان » اه

وهذه مقالته الافتتاحية :